رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 8- سورة سبأ | من الأية 22 إلى 32

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض - 00:00:01

لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارظ ولا وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم - 00:00:34

قالوا الحق وهو العلي الكبير يقول الله جل وعلا في هاتين الايتين من سورة سبأ قل يا محمد لمشركي كفار قريش او للكفار عامة قل ادعوا الذين زعمتم وندعوهم زعمتم انهم ينفعون - 00:01:01

في جلب نفع او في دفع ضر وزعم مفعولين وكلاهما محذوف دل عليهما السياق قل ادعوا الذين زعمتموهم الهة قل ادعوا الذين زعمتموهم الهة من دون الله ادعوهم جربوا حصل عليكم ازمات - 00:01:40

مسكم الظر الجوع والقحط ادعوهم هل ينفعون جربوا اجاب الله جل وعلا بقوله لا يملكون مثقال ذرة ما هناك شيء اصغر من الذرة لا يملكون مثقال ذرة والعالم الخارجي الظاهر - 00:02:28

السماوات والارض لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا يملكون مثقال ذرة في الارض وما فوق ذلك من باب اولى لا يملكون ليس لهم ملك مستقل لان من يراد نفعه - 00:03:06

اما انه يملك استقلالا او يملك شراكة او يحتاجه المالك يعينه ويساعده فينفع من اراد نفعه لان من يحتاجه المالك في امر من الامور يضطر انه يستجيب لطلبه هذه هي الثلاثة كلها منفية - 00:03:36

عن هؤلاء الذين زعم الكفار انهم الهة لا ملك مستقل ولا شراكة في ملك ولا هم اعوان للمالك تعالى وتقدس ويستجيب لطلبهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض - 00:04:21

وما لهم فيهما اي في السماوات والارض من شركة يعني من شركة ما يقال هذا لله ولهم هذا الجزء من السما او هذا الجزء من الارظ او هذا الشيء ملك لله وملك للالهة شركا فيه تعالى وتقدس لا - 00:04:56

ليس لهم شراكة وماله اي لله جل وعلا منهم من الالهة من ظهير عويل معين وعادة المعين للمالك يستطيع ينفع من يريد نفعه لان المالك الاصلي يحتاجه فهو اذا احتاج ان ينفع غيره - 00:05:23

نفعه لان من يحتاج الى الاعانة لازم ان يستجيب للمعين اذا طلب منه شيء لازم ان يعطيه والا انسحب ولا اعانه تعالى الله والله جل وعلا ليس في حاجة لا شراكة له - 00:06:00

وليس في حاجة الى معين فيستجيب لطلبه وكما قال الله جل وعلا والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ما يملكون من قطمير اقل شيء والله جل وعلا بهذه الاية الكريمة - 00:06:22

فضح الالهة التي تعبد من دون الله وبين حقيقتها لانها لا تملك وليس لها شراكة وليست معينة لله جل وعلا اذا فلا تستطيع ان تنفع من يدعوها ابدا ثمان العقل السليم - 00:06:50

يستنكر ويستكره ان تدعو ميت او ان تدعو غائب وتترك دعوة من يقول واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا

دعان. الله جل وعلا الكبير المتعال القادر السميع البصير - 00:07:25
يقول لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة اذا دعاني يقول اسألوني من شأن اجيبكم فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ثم يذهب الاخر يقول لا اروح اسأل الحسن اسأل الحسين اسأل البدوي اسأل عبد القادر الجيلاني اسأل فلان - 00:07:58
لا نسأل علان هؤلاء اموات وغيرهم من الاموات وقد تكون اشجار واحجار وقد يكون يدعو كافر هو معلم في النار فكيف يدعوه العقل السليم والشرع كلاهما يدلان على ان عبادة ودعوة غير الله جل وعلا - 00:08:29
لا تنفع بل تضر يحبط العمل يقول الله جل وعلا بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وهو اكرم الخلق على الله والله جل وعلا يعلم ازلا انه معصوم من الشرك - 00:09:05
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولا تكونن من الخاسرين وهذا وايضاح للامة محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله جل وعلا له ذلك فكيف - 00:09:24
يتوجه العبد الى الله جل وعلا ثم ينصرف الى صاحب القبر ويسأله يطلب منه الشفاعة يطلب منه رد الغائب يطلب منه كذا وكذا لا تدري اهو في روضة من رياض الجنة منعم - 00:09:47
كم في حفرة من حفر النار؟ وفي كلا الحالين هو مشغول عنك لا يدري عنك اما منعم او معذب والله اعلم كان ممن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فنحن نؤمن ونجزم بانه في روضة من رياض الجنة - 00:10:10
وان كان ممن مات كافرا فهو في حفرة من حفر النار بلا شك وان كان بينهما فالله اعلم لا ندري لا نشهد لاحد بجنة ولا نار الا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم - 00:10:32
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة وكيف تدعوه وهو لا يملك قد تقول لا يملك لكنه شريك لله تعالى الله قال الله وما لهم فيهما اي في السماوات والارض من شرك - 00:10:51
قد يقال ليس شريك لله الله لكنه يعاون الله ويساعده تعالى الله قال الله جل وعلا وما له منهم من ظهير من عويل ظهير معين كما قال الله جل وعلا - 00:11:19
والملائكة بعد ذلك ظهير محمد صلى الله عليه وسلم قل ادعوا قل فيها قراءتان بكسر اللام لاجل التقاء الساكنين تحريكها بالكسر لالتقاء الساكنين قولي قل ادعوا وقراءة اخرى بالظم قل ادعوا - 00:11:42
اتباعا بضمة العين ادعو قالوا كيف تتبع في ظمة العين وبينهما الدال قال العلماء ان الدال حاجز ليس بحصين لانها ساكنة والساكن ضعيف انه لو كان عنده قوة تحرك فهذي حاجز ليس بحصيل ليس بقوي فقالوا تتبع - 00:12:13
اللام ظمت العين قل ادعوا قولوا والا قولي قراءتان سبعيتان صحيحتان قد يقول المشركون الهتنا لا تملك استقلالا في السماوات ولا في الارض وليس لها شراكة مع الله بل الله يملكها كما قالوا في تلبيتهم - 00:12:50
لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك لا ملك مستقل ولا شراكة ولا اعانة لله وانما يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يشفعون لنا قال الله جل وعلا - 00:13:25
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له. لا احد يستطيع ان يشفع كائنا من كان الا بشرطين اساسيين لابد منهما اولا - 00:13:48
اذن الله جل وعلا للشافع افضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لا يشفع الا بعد ان يستأذن الله جل وعلا فيأذن له الشرط الثاني رظاه جل وعلا عن المشفوع له - 00:14:14
واذا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم ان يشفع ولا يمكن ان يستأذن بالشفاعة لكافر لا يؤذن له الا ما ورد في خصوص ابي طالب فان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع له فيكون في ضحظاح من النار - 00:14:35
يغلي له شراكان من نار يعلي منهما دماغه. لانه مات على الكفر وهو خالد مخلد في النار لكونه مات على الكفر والنبي صلى الله عليه

وسلم شفع له خصيصا باذن الله جل وعلا فصار اخف - 00:15:03
الكفار عذابا هذه خاصة في ابي طالب ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له كما قال الله جل وعلا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون - 00:15:23
الا لمن ارتضى لا يشفعون الا لمن رضي الله جل وعلا الشفاعة له اذنه للشافع ورضاه عن المشفوع الكافر لا يشفع له لا احد يستطيع ان يتقدم بالشفاعة له ولو على سبيل الفرض ان احد تقدم ولن يتقدم - 00:15:54
لكن لو تقدم فلا تقبل لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى وقال جل وعلا وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى - 00:16:23
وهذا تكذيب لهم في قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله قال الله جل وعلا ولا تنفعوا الشفاعة عنده الا لمن ارتضى قد يقول قائل في قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده - 00:16:49
هل توجد الشفاعة لكن لا تنفع قيل لا اصلا لا احد يستطيع ان يتقدم بالشفاعة بدون اذن اذا فلا شفاعة بما قال الله جل وعلا ولا تنفعوا الشفاعة عنده ولا تنفع الشفاعة عنده يعني هل يوجد شفاعة ولا تنفع - 00:17:10
اصلا لا شفاعة لكن الله جل وعلا بين الشيء الذي يريدونه هم هم يريدون لا يريدون الشفاعة فقط وانما يريدون النفع نفع الشفاعة فقال الله جل وعلا ولا تنفعوا الشفاعة - 00:17:38
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له والشافع قبل ان يشفع يستأذن الله جل وعلا فان اذن له فلا يشفع الا لمن رضي الله قوله وعمله وهم اهل التوحيد. اما عن الشرك - 00:17:59
الا يرضى الله جل وعلا قولهم ولا عملهم صاحب المقام المحمود المصطفى صلى الله عليه وسلم افضل الخلق واكرم الشفعاء على الله جل وعلا اذا اراد ان يشفع للخلق يوم القيامة - 00:18:27
ليريحهم الله جل وعلا من الموقف يقضي بينهم ما يشفع مباشرة الا بعد باذن الله جل وعلا له وذلك ان الشفاعة العظمى تعرض على الانبياء الخلق يفزعون الى ادم عليه السلام - 00:18:53
يطلبون منه الشفاعة فيعتذر يفزعون الى نوح ويعتذر يفزعون الى ابراهيم ويعتذر يفزعون الى موسى ويعتبر يفزعون الى عيسى عليهم الصلاة والسلام فيعتذر ثم يفزعون الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها - 00:19:22
كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم ان يأتي ربهم لفصل القضاء قال صلى الله عليه وسلم - 00:19:49
فاسجد لله فيدعني ما شاء الله ان يدعني يعني يتركه الله جل وعلا ساجدا ويفتح علي بمحامد لا احصيها الان يقول يفتح الله جل وعلا على محمد صلى الله عليه وسلم بمحامد. وثنى على الله جل وعلا. وتعظيم لله جل وعلا. ليقل لا - 00:20:11
تستحضرها الان لا احصيها الان ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطى والشفاعة شفاع عند ذلك يقوم فيشفع عند الله جل وعلا ليريح العباد من الموقف في الفصل - 00:20:40
بينهم والقضاء اذا ما بقي لمن يتعلق به المشركون لا ملك مستقل ولا شراكة ولا اعانة لله ولا شفاعة عنده والالهة المعبودة دون الله عبدت الجمادات وعبدت الاشجار وعبدت الملائكة - 00:21:07
صلوات الله وسلامه عليهم وعبد بعض الرسل من دون الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وصنف لا شفاعة لهم اطلاقا وهم الكفار والجمادات وصنف لهم شفاعة مقيدة مشروطة مقيدة بشروط - 00:21:48
كما تقدم الله جل وعلا للشافع ورضاه جل وعلا عن المشفوع له محمد صلى الله عليه وسلم يشفع والانبياء يشفعون والملائكة يشفعون لكن بهذه بهذين الشرطين اذن الله جل وعلا للشافع ورضاه عن المشفوع له - 00:22:20
فهو جل وعلا لا يأذن لاي عبد من عباده في ان يشفع لكافر الا ما تقدم في قصة ابي طالب ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له لان حالة الموقف - 00:22:51

يوم القيامة تختلف عن حال الدنيا وملوك الدنيا الشافع لدى ملوك الدنيا يدخل عليه مباشرة ثم يقول ما يقول ما يريده من شفاعة او وساطة او اعتذار عن فلان او مدح لفلان - 00:23:18

يقولها مباشرة لانه مخلوق دخل على مخلوق مثله واما الشفاعة عند الله جل وعلا فلا لا يستطيع ان يشفع مباشرة حتى يستأذن الله جل وعلا فان شاء جل وعلا اذن له في الشفاعة وان شاء لم يأذن - 00:23:44

وهؤلاء الشفعاء عند الله من الملائكة الذين هم من افضل الخلق مع علو منزلتهم وقربهم من الله جل وعلا هم على وجل وخوف قال الله جل وعلا حتى اذا فزع عن قلوبهم - 00:24:12

قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير الملائكة الذين هم اقرب الخلق الى الله جل وعلا ومنهم حملة العرش ومنهم عمار السماوات يقول صلى الله عليه وسلم اطت السماء - 00:24:43

وحق لها ان تعظ ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد لله او كما قال صلى الله عليه وسلم يعني هي ملأى بالملائكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين - 00:25:11

وهم كما وصفهم الله جل وعلا اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير للعلماء رحمهم الله في تفسير هذه الاية حتى اذا فزع عن قلوبهم من هم - 00:25:31

الملائكة وهذا قول الجمهور وعليه كثير من المفسرين ومن ائمتهم وقول اخر حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني ذهبت الغشاوة عن قلوب الكفار عند الاحتضار او في عرصات القيامة يعرفون ان - 00:26:01

الحق هو الله جل وعلا وان عبادة ما سواه باطل وايظاح ذلك يقول ابن كثير رحمه الله وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق - 00:26:33

وهذا ايضا مقام رفيع في العظمة وهو انه تعالى اذا تكلم بالوحي سمع اهل السماوات كلامه ارعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي قاله ابن مسعود ومسروق وغيرهما وقال ابن عباس - 00:26:59

والشعبي وابراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة رحمهم الله في قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم يقول جلي عن قلوبهم يعني ذهبت الغشاوة التي على قلوبهم بسبب سماعهم لكلام الرحمن جل وعلا - 00:27:29

واذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ويخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم وهكذا حتى ينتهي الخبر الى اهل السماء الدنيا ولهذا قال قالوا الحق. يعني قالوا الشيء الصحيح الذي قاله الله جل وعلا. يخبر بعضهم بعضا - 00:27:59

قالوا الحق اي اخبروا بما قال جل وعلا من غير زيادة ولا نقصان وهو العلي الكبير والدليل على هذا ان المراد الملائكة ما رواه البخاري رحمه الله عند تفسير هذه الاية الكريمة في صحيحه - 00:28:33

قال حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة سمعت ابا هريرة يقول ان النبي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قوى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله - 00:29:01

كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ويسمع مسترق السمع ومفترق السمع هكذا بعضه على بعض فوق بعض - 00:29:26

هكذا بعظه فوق بعظ ووصف سفيان بيده فحرفها وبدد بين اصابعها هكذا يعني بعضهم فوق بعض وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها على من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته. حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن. فربما ادركه الشهاب - 00:29:51

وقبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مئة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق يعني الساحر او الكاهن بتلك الكلمة التي سمعت من السماء - 00:30:21

وكذا رواه مسلم من غير هذا الوجه رحمهم الله وهذا الحديث في رواية البخاري الصحيحة رحمه الله على ان المراد بقوله جل وعلا حتى اذا فزع عن قلوبهم الملائكة وقال اخرون - 00:30:48

المعنى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة اذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت اليهم عقولهم يوم القيامة. قالوا ماذا قال ربكم؟ وقيل لهم الحق - 00:31:17

واخبروا بما كانوا عنه لاهين في الدنيا وقال الحسن رحمه الله حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك والتكذيب حينما يبعد عنهم الشيطان عند الاحتضار وحينما تصل الروح الحلقوم حينئذ لا ينفع الاقرار بالتوحيد ولا - 00:31:43

المقر شيئا وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني كشف عنها الغطاء يوم القيامة وقال عبدالرحمن بن زيد بن اسلم حتى اذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك - 00:32:10

قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم. وامانيهم وما كان يظلهم. يعني استراح منهم وخلاص وابعد عنهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير. قال وهذا في بني ادم هذا عند الموت - 00:32:35

اقروا حين لا ينفعهم الاقرار واختيار ابن جرير رحمه الله الذي هو امام المفسرين من بعد الصحابة رضي الله عنهم ان الضمير عائد الى الملائكة الصحيح الذي في صحيح البخاري - 00:32:57

في تفسير الاية حديث اخر عن النواصب لسبعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحي بامره تكلم بالوحي واذا تكلم بالوحي اخذت السماوات منه رجفة - 00:33:21

او قال رعدة شديدة رعدة شديدة من خوف الله تعالى واذا سمع بذلك اهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما اراد فيمضي به جبريل على - 00:33:41

الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله من السماء والارض - 00:34:05

ففهمنا من هذا ان قوله جل وعلا حتى اذا هزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ ان الذين فزع عن قلوبهم وفيها قراءتان فزع وفزع للتخفيف والتشديد وكلاهما سبعيتان القول الاول انهم الملائكة من مخافة الله جل وعلا والقول الثاني انهم - 00:34:31

الكفار حينما يبعد عنهم الشيطان ويدركون الحقيقة يقرون بالصحيح والصواب حين لا ينفع ذلك لان لانه قد عاينوا الملائكة وساعة الاحتضار لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا - 00:35:01

والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:35:27